كيف أنال محبة الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

لا شك أن محبة الله درجة عالية عظيمة، ينبغي للمسلم أن يحرص عليها ويسعى في تحقيقها، فهي منزلة رفيعة عالية.

قال تعالى: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) [المائدة:54].

محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)

ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) [مريم:96]. (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) [طه: 39]

محبَّة الله سبحانه وتعالى للعبد المؤمن منزلة عالية رفيعة يحظى بها أولياؤه الصالحون، الّذين ترقوا في إخلاص عبوديتهم له حتى نالوا هذه الدرجة المميزة، ومن يحظى بها يكون قد فاز فوزاً عظيماً في الحياة الدنيا بالتأييد، والتوفيق، والنصر، والتمكين، وفي الآخرة بالفوز بالجنّة والنعيم الدائم.

لذلك قال بعض العلماء: ليس الشأن أن تحب الله، ولكن الشأن أن يحبك الله.

ليس بمستغرب أن الفقير يحب الغني، وأن الذليل يحب العزيز، وأن الضعيف يحب القوي، وأن العاجز يحب القادر فالنفس مجبولة على ذلك، لكن العجيب من الغني القوي القادر العزيز، يحب الذليل العاجز الفقير العاصي المقصر وهو غني عنه من جميع الوجوه.

لذا يجب أن نسعى لنيل هذه المرتبة العالية، والمنزلة الرفيعة؛ بتحرّي مواطن تلك المنحة الإلهيّة العظيمة والوصول إليها، وندرك أنّ هذا المقام لا يتأتى بالأماني، وإنّما بمجاهدة النفس وترك نزواتها، ومواجهة مداخل الشيطان ووسوسته، والحرمان من هذه العطيّة الربانيّة هو حرمان من الحياة الآمنة الطيّبة في الدنيا والآخرة.

والله دعانا إلى السّعي في تحصيل هذه المحبّة، ودلّنا على الطريق، فما هي أسباب تحصيل هذه المنزلة العظيمة؟

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله بعض الأسباب التي تساعد في جلب محبة الله تبارك وتعالى فقال رحمه الله:

1 الاول: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

لتنال محبة الله يجب أن تنشغل بالقرآن حفظاً وفهماً وتدبراً وتطبيقاً، لأنه كتاب الله، نور وهدى وشفاء ورحمة وخير.

قال خباب: تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه.

لا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم.

كان بعضهم يكثر تلاوة القرآن، ثم اشتغل بغيره، فرأى في المنام قائلاً يقول:

إن كنتَ تزعمُ حبي فلم جفوتَ كتابي

أما تأملت ما فيه من لطيف عتابي

والسؤال كيف ينال محبة الله من يمر عليه الأسبوع بل الشهر ولم يقرأ كتاب الله؟ وكيف ينال محبة الله من جلس أمام القنوات وأنصت وسهر واشتغل بالمجون والغناء وهجر وترك كتاب الله، الذي هو النور والهدى والخير والسعادة؟ كيف ينال محبة الله؟ من يجلس الساعات تلو الساعات بين قال وقيل؟ ويتركون فهم كتاب الله؟

وصدق عثمان بن عفان –رضي الله عنه– حين قال قال: لو طَهُرَتْ القلوب ما شبعت من كلام علاَّم الغيوب.

✉من طهَّر الله قلبه، ولم يجعل الله الدنيا أكبر همِّه ولا مبلغ علمه، وأضحى وأمسى همُّه كلُّه الباقيات الصالحات، ومراقبة الله في الجلوات والخلوات، وحريص على العمل الباقى له بعد زوال الأرض والسماوات، هذا الإنسان الذي لا يشبع من كلام علام الغيوب.

✉مثل قلب سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، الذي طهر قلبه من أوساخ الدنيا، وأمتلىء بحب الله وحب لقاء الله، فتفطرت قدماه، وهو يتلو كلام الله، يسلتذ فيقرأ بثلاث سور من الطوال في ركعة وهو يشعر ب السعاة.

عن حُذَيْفَةَ –رضي الله عنه– قال: "صَلَّيْتُ مع النبي –ﷺ– ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فقلت يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى فقلت يُصَلِّي بها في رَكْعَةٍ فَمَضَى فقلت يَرْكَعُ بها ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا". مسلم

عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: خرجنا مع رسول الله –ﷺ– في غزوة، فأمر النبي –ﷺ– رجلين بالحراسة: رجلا من المهاجرين ورجلا من الأنصار. فلما خرج الرجلان اضطجع المهاجري وقام الأنصاري يصلي فأتى رجل من المشركين؛ فرأى الأنصاري يصلي فرماه بسهم فوضعه فيه.. (يعني استقر السهم في جسده) فنزعه ثم أكمل صلاته ثم رماه بسهم ثان... فنزعه وأكمل...حتى رماه بثلاثة أسهم، لكن بعد السهم الثالث ما استطاع الأنصاري أن يستحمل فركع وسجد، ثم انتبه صاحبه المهاجري...فلما رأى المشرك أنهم أحسوا به وعرفوا مكانه هرب ورأى المهاجريُ ما بالأنصاري من الدماء فقال: سبحان الله! ألا نبهتني أول ما رمى قال: كنت في سورة أقرؤها؛ فلم أحب أن أقطعها.

✉وعثمان بن عفان رضي الله عنه، كان يحيي الليل، فيختم القرآن في ركعة وكذلك تميم الداري –رضي عنه–.

✉من حديث أبي بكر بن عياش قال: صليت خلف فضيل بن عياض صلاة المغرب وإلى جانبي علي بن فضيل فقرأ الفضيل {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} فلما بلغ {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ} سقط علي مغشيا عليه.

✉سمع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – رجلا يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ إلى قوله – تعالى – {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} قال عمر: قسم ورب الكعبة حق، ثم رجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

✉الرجال يوزنون بما ملئ قلوبهم لا جيوبهم، أنظروا لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، يشتاق لقلوب ملئها القران، يريد قربهم ولقائهم.

سيدنا عمر رضي الله عنه بعدما وزَّع كل ما في بيت مال المسلمين، أمر خادم بيت المال أن يرشَّه بالماء، حتى يحضر هو وبعض نفرٍ من أصحاب النبيّ –ﷺ– لصلاة ركعتين فيه، وحضر وصلى ركعتين وجلس معهم وقال لهم: تمنوا – يعني ما الذي تتمنون أن يملأ الله به بيت مال المسلمين؟ {فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله وأتصدق وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجداً وجوهراً فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة بن اليمان} المستدرك على الصحيحين

✉الصحابة كانوا يتلون القران حق تلاوته، يقرؤون حروفه، ويفهموا معانيه، ويعلمون فيه، (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) لذلك نواياهم طيّبة، كُلُّ ما يتمنونه أموراً تساعد على دعوة الله، أو توصل إلى رضوان الله.

📄وقال ابن القيم: فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض، وبهذه العبادات القلبية العظيمة تنال حب الله.

📄ولذلك قال مالك بن دينار: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض.

✉ولذلك قال بعض السلف: "دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

⇦أول دواء للقلب: قراءة القرآن بالتدبر.

ولذلك أثنى الله عز وجل على من تدبر وتأثر بكلام الله تعالى فقال سبحانه: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[الأنفال:2] .

وقال تعالى: (قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) [الإسراء: 107:109].

يزيدهم سماع القرآن (خشوعاً) أي لين قلوبٍ ورطوبة عين. وقال تعالى (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً) [مريم:58].

✉عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية من سورة " مريم " فسجد وقال: هذا السجود، فأين البكي؟

❍ تأثروا بكلام الله، تدبروه، وأحبوه، فعملوا به، فأحبهم الله وألقى عليهم محبته إلى يوم القيامة.

كما قال تعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) [ص:29]

✉تقول أسماء في وصف أصحاب رسول الله -ﷺ- (كان أصحاب رسول الله -ﷺ- إذا قُرِئَ عليهم القرآن كما نعتهم الله، تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم).

📝وقد ذم الله من لم يتدبر القرآن:

فقال تعالى: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً) [النساء:82].

وقال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد:24]

وقال تعالى: (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ) [المؤمنون:68].

✉وقال -ﷺ- في وصف الخوارج ومن يكون مثلهم، الذين لم يتدبروا كلام الله ولم يفهموه ولم يعملوا بما جاء فيه (يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم)، لذلك خسروا محبة الله وجاء ذمهم في قوله:(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) [محمد:16]

⇦فكيف ينال محبة الله من لا يفهم خطاب الله، فلا يأتمر بأمره، ولا ينتهي بنهيه، ولا يخاف ولا يخشى ولا يتعظ ولا يعتبر.

❷ثانيا: كيف ننال محبة الله كما قال ابن القيم: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

⇦فإن الإكثار من النوافل (نوافل الصلاة أو الصدقة أو الصيام أو الحج) دليل على حرص هذا الشخص على طاعة الله، والسعي في مرضاة الله، حيث يتزود من النوافل التي هي غير واجبة أصلاً فكان جزاؤه أن يحبه الله فإذا أحبه، حفظ له حواسه وجوارحه وأعضاءه من الحرام، وشغله ب فعل الطاعات.

(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن:60]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: (يقولُ اللَّهُ تَعالَى: وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً). صحيح البخاري

⇦فمن أكثر من النوافل والطاعات – بعد أداء الفرائض –كان ذلك سبباً عظيماً من أسباب محبة الله.

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ...))البخاري

⇦فمن أراد أن ينال محبه الله فليجتهد بالإكثار من النوافل والطاعات فهي دليل المحبة الصادقة لله، لينال بذلك محبة الله.

كما قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: لكعب حينما سأله مرافقته في الجنة؟ "فَقَالَ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً" رواه مسلم

ولذلك قال -ﷺ-: "مَن صامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا" صحيح البخاري.

وقال -ﷺ-: " من ثابرَ على ثنتي عشرةَ ركعةً منَ السُّنَّةِ بنى اللَّهُ لَهُ بيتًا في الجنَّةِ أربعِ ركعاتٍ قبلَ الظُّهرِ وركعتينِ بعدَها وركعتينِ بعدَ المغربِ وركعتينِ بعدَ العشاءِ وركعتينِ قبلَ الفجرِ" صحيح الترمذي

وقال -ﷺ-: " تابِعوا بينَ الحجِّ والعمرةِ، فإنَّهما ينفِيانِ الفقرَ والذُّنوبَ، كما ينفي الْكيرُ خبثَ الحديدِ والذَّهبِ والفضَّةِ" صحيح النسائي.

⇦توطين النفس وتمرينها على العبادة لتعتاد على ذلك ويسهل عليها فعل الطاعة.

❸ثالثا: دوام ذكره على كل حال، باللسان والقلب، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: (يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ) صحيح البخاري

⇦فمن أحب الله أكثر من ذكره، ومن ذكر الله ذكره الله ورفعه وأعلى ذكره، فذكر الله من أعظم علامات محبة الله للعبد.

ولذلك يقول ابن القيم في كتابه الوابل الصيب: فمن أراد أن ينال محبة الله فليلهج بذكره.

ولذلك قال تعالى :(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[آل عمران:191] .

وقال تعالى:(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب:35].

وقال تعالى :(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) [سورة البقرة:152].

قال ابن القيم: ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً.

قال السلف: «إذا كثرت همومك فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، وإذا تداركت عليك النعم فأكثر حمدًا لله»

❹رابعاً: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى.

⇦وهذا من أعظم الأمور التي ينال بها الإنسان محبة الله، أن يقدم محاب الله على هواه.

كيف تحبه وتعصيه، وهو يراك ويسمعك، وانت لا تجاهد نفسك وتستحي منه وتنتهي.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ (إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ). رواه البخاري

كما قال الشافعي

تَعْصِي الإِله وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هذا محالٌ في القياس بديعُ

لَوْ كانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

⇦فمن جاهد نفسه وفق الله لطاعته، وقد أقسم تبارك وتعالى على ذلك فقال:(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت:69].

قال ابن القيم: علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته.

فمن قدم محاب الله على هوى نفسه فليبشر؟ ليبشر بالوعد، قال -ﷺ-: "من تركَ شيئًا للهِ، عوَّضهُ اللهُ خيرًا منه" السلسلة الصحيحة.

📂كان سليمان عليه السلام محباً للخيل من أجل الجهاد بها في سبيل الله، وكان معه الخيول الصافنات وهي الخيول القوية السريعة، وكانت ذو أجنحة، ويزيد عددها على عشرين ألفاً، فبينما هو يقوم بعرضها وتنظيمها، فاتته صلاة العصر نسياناً لا عمداً، قال: لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي، ثم أمر بها فعقرت، فضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف، عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب، غدوها شهر، ورواحها شهر قال الله تعالى:(وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) [سورة ص: 29-33]

⇦من ترك النظر المحرم عبر القنوات والفضائيات أو غيرها وغض بصره عوضه الله إيماناً وحلاوة ولذة عظيمة في قلبه.

⇦من ترك الغيبة والنميمة ومجالس اللغو عوضه الله بمجالس العلم والنور والهدى.

⇦ومن ترك الشهوات المحرمة من الخمر والزنا والقمار أعاذنا الله واياكن أبدله الله من اللذات والطيبات ما يغنيه عن المحرمات.

❺خامسا: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، فإنها داعية إلى محبته.

⇦إن الإنسان حينما يتأمل بنعم الله عليه من صحة وأمن وأمان وعافية وغيرها كثير وكثير، فيصدق حبه لله بأقواله وأعماله، بلسان ذاكر، وقلب شاكر، وجوارح منقادة، فكل شيء فيه يسبح بحمده الله ويعظمه.

⇦فمن أعظم الأسباب التي ينال بها الإنسان محبة الله النظر في نعمه – سبحانه – الظاهرة والباطنة.

📃كم من الناس كافر وأنت مؤمن وكم من فاسق وأنت صالح.... كم من الناس يحضر المسلسلات عبر القنوات والمجون والفسق، وانت قد وفقك الله للقيام والصيام والطاعة وحضور دروس العلم، كم من سقيم وأنت سليم، كم من بخيل وانت كريم..... وهكذا المؤمن

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسولُ اللَّه –ﷺ-: (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هو أَسفَل مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوقَكُم؛ فهُوَ أَجْدَرُ أَن لا تَزْدَرُوا نعمةَ اللَّه عَلَيْكُمْ). رواه مسلم

وقال-ﷺ-: "إِذا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عليهِ في المالِ وَالخَلْقِ فلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ" صحيح البخاري

قصة أبي قلابة من كبار العلماء في زمانه في الصبر على البلاء. قال أبو إبراهيم ... كنت أمشي في صحراء ... فضللت الطريق ... فوقفت على خيمة قديمة ... فنظرت فيها فإذا رجل جالس على الأرض ... بكل هدوء ... وإذا هو قد قطعت يداه ... وإذا هو أعمى ... وليس عنده أحد من أهل بيته ... رأيته يتمتم بكلمات ... اقتربت منه وإذا هو يردد قائلاً: الحمد لله الذي فضلني على كثير من خلق تفضيلاً ... الحمد لله الذي فضلني على كثير من خلق تفضيلاً، فسألته بما فضلك ...أليس الله قد أعطاني سمعاً؟ أسمع به أذان الصلاة ... وأعقل به الكلام ... وأعلم ما يدور حولي؟ أليس الله قد أعطاني لساناً؟ أذكر به ربي ... وأبين به حاجتي ...أليس الله قد جعلني مسلماً ... أعبد ربي ... وأحتسب عنده أجري ... وأصبر على مصيبتي؟؟ فالحمد لله الذي فضلني على هؤلاء الكثير تفضيلاً ... ومضى الشيخ يعدد نعم الله عليه ... وأنا أزداد عجباً من قوة إيمانه ... وشدة يقينه ... ورضاه بما أعطاه الله. من سير النبلاء بتصرف

وكذلك ايوب عليه السلام. إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يختبر صبر سيدنا أيوب عليه السلام فابتلاه بمرض لم يبقه سليما إلا في قلبه ولسانه ، كما أنه فقد أبنائه وخسر أمواله الطائلة التي كان يمتلكها حتى أصبح رجلا ضعيفا لا حول له ولا قوة ، ولم يعد أحد يزوره من أقاربه وأصدقائه سوى زوجته التي كانت له زوجة صالحة وبارة به ظلت ترعاه طيلة فترة مرضه وعملت في خدمة الناس بمقابل مادي حتى تستطيع أن تطعم زوجها وتخدمه ، وظل نبينا عليه السلام مريضا وفقيرا طوال ثمانية عشر عاما، وبالرغم من كل المصائب التي حلت به عليه السلام فلم يتوانى عن حمد الله وشكره وازداد صبره صبرا كثيرا إلى أن أصبح يضرب له المثل في صبره، قال تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ). [ص:44]

⇦ ألا تستحق هذه النعم شكر الله، ولذلك أثنى الله على أنبيائه بأنهم يشكرون الله.

قال تعالى في نوح: (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) [الاسراء:3]، وقال في إبراهيم:(شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ) [النحل:121]، ونبينا -ﷺ-كان من أعظم الناس شكراً لربه.

❻ سادساً: انكسار القلب بين يدي الله تعالى وهذا من أعجبها.

⇦فان الله يحب المنكسرين الذليلين له، أشرف حالات العبد وهو ساجد ذليل منكسر لربه.

📃قال الخطابي رحمه الله: "معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه، اختص بهما، لا يشركه أحد فيهما، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللَّه عزَّ وجلَّ: العِزُّ إِزاري، والكِبْرياءُ رِدَائِي، فَمَنْ يُنَازِعُنِي فِي واحدٍ منهُما فقَدْ عذَّبتُه). رواه مسلم.

⇦فأعظم الناس منزلة عند الله أعظمهم عبودية له وأخضعهم له سبحانه.

📝ولذلك وصف الله نبيه محمد -ﷺ-وصف العبودية في أعلى المقامات

❁لما عرج به إلى السماوات العلى: قال -عز وجل-: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) [الاسراء:1].

❁وفي التحدي: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) [سورة البقرة:23].

❁وفي الدعوة :(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) [الجن:19].

📃يقول شيخ الإسلام: الرب سبحانه: أكرم ما تكون عليه؛ أحوج ما تكون إليه.

⇦فأكرم ما تكون عند الله: إن كنت خاضعاً ذليلاً متواضعاً بكاءً راجياً.

⇦فليس هناك أفضل من الانطراح بين يدي الله والخوف منه.

📃يقول بعض السلف: دخلت مع كل باب فإذا هو مليء، دخلت من باب الصلاة فهو مليء ، ودخلت من باب الصيام فهو مليء ، ودخلت من باب الانكسار بين يدي الله فإذا هو فارغ .

❼سابعاً: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار.

📝فإن الخلوة بالله تبارك وتعالى من أعظم العبادات.

📃قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إن في القلب وحشة لا يذهبها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وفيه فاقة – يعني: فقر – لا يذهبها إلا صدق اللجوء إليه ولو أُعطِيَ الدنيا وما فيها لم تذهب تلك الفاقة أبدًا.

⇦فوقت الخلوة – يوم الناس نيام، وفي هذا الزمان والناس يسهرون على القنوات وعلى المحرمات – يقوم هذا الشخص يتلو كتاب الله ويختلي بالله، والله إنها من أعلى الأمور، ومن أعلى الدرجات، ولا يوفق لها إلا موفق، ولا يعطاها إلا من علم الله صدقه وإخلاصه.

📃وقت النزول الإلهي وقت من أعظم الأوقات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ شَطْرُهُ، نَزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: " هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ". حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

📃إن من أعظم أسباب نيل محبة الله: الأنس بمناجاة الله تعالى، والتلذذ بذكره والثناء عليه، قال الله – تعالى–: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد:28]، إذا هدأت العيون وهجعت النفوس، واسودت ظلمة الليل، نشط لذكر الله يسكب العبرات، ويظهر الحاجة والافتقار إلى مولاه، ويعترف بعجزه وضعفه، ويلح عليه بالثناء والتسبيح والتهليل، يرفع العبد يديه بقلب مخبت منيب

⇦الخلوة بالله والانس به والافتقار اليه، تنال بها المحبة والرفعة، أختلي بالله وأدعو وأبكي وأقرء القرآن وأذكر الله وأستغفره تذوق طعم القرب واللذة والانس بالله.

8️⃣ثامناً: بمجالسة الصالحين الصادقين تنال محبة الله.

عن رسولُ اللهِ –ﷺ–: "أنَّ رَجُلًا زارَ أخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فأرْصَدَ اللَّهُ له علَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أتَى عليه، قالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: أُرِيدُ أخًا لي في هذِهِ القَرْيَةِ، قالَ: هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟ قالَ: لا، غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ: فإنِّي رَسولُ اللهِ إلَيْكَ بأنَّ اللَّهَ قدْ أحَبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فِيهِ". صحيح مسلم

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ –ﷺ– قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، ذكر منهم .... وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ". متفق عليه

عن عمر بن الخطاب قال: قَالَ رسولُ اللَّهِ –ﷺ–: (إنَّ مِن عبادِ اللهِ لَأُناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شُهداءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانِهم مِن اللهِ تعالى، قالوا: يا رسولَ اللهِ، تُخبِرُنا مَن هم؟ قال: هم قومٌ تحابُّوا برُوحِ اللهِ على غيرِ أرحامٍ بَيْنَهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنَها، فواللهِ إنَّ وجوهَهم لَنُورٌ، وإنَّهم على نُورٍ، لا يخافونَ إذا خاف النَّاسُ، ولا يحزَنونَ إذا حزِن النَّاسُ، وقرَأ هذه الآيةَ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: 62]. صحيح أبي داود

لأهمية اختيار الصديق الصالح أخبرنا الرسول عليه السلام بصفات الجليس الصالح والجليس السوء، قال –ﷺ–: "إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وجَلِيسِ السُّوءِ، كَحامِلِ المِسْكِ، ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ، إِمَّا أنْ يَحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ، إمَّا أنْ يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً". (رواه البخاري).

تأملوا قول ربنا سبحانه: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف:4]

قال ابن كثير: أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه، ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء.

حينما يجالس أناس طيبين يتكلمون في الذكر وفي الطاعة وفي محبة الله وفي محبة الرسول –ﷺ–، فإنه يزداد حب الله فيحبه الله، يحبك في الله، يذكرك بالله، يخوفك من غضب الله، يرغبك في لقاء الله، يذكرك بالله إذا نسيت، ويمنعك إذا عصيت، ويكون يوم القيامة شافعا لك.

وصحبة الصالحين دليل على توفيق الله عز وجل، لأن هذه من أعظم المحبة في الله، لأنه لو لم يحب الله عز وجل لذهب لأهل الغناء، ولأهل الفسق، ولأهل الخمور، ولأهل الغيبة والنميمة، فذهابه للصالحين دليل على أنه يحب الله، ومن ثَمَّ يحبه الله عز وجل ويوفقه ويسدده، فالمرء على دين خليله.

إذا كنتَ في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصاحب الأردى فتردى مع الردي.

التاسع والأخير: المباعدة عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله.

أي سبب تشعر أنه صدك عن الله فابتعد عنه.

ولذلك قال بعض السلف: كل ما صدك عن الله فهو مشؤوم، فأي سبب يحول بينك وبين الله فابتعد عنه.

وكن على يقين أن أي أمر مهما كان يصدك عن الله لا خير فيه ولا بركة.

وفي نهاية المحاضرة أوصي نفسي وأخواتي الحبيبات بالأخذ بالأسباب، وطرق كل باب يوصل لآجل مطلوب، وهو محبة الله ونيل رضا الله.

وكل من يتراجع في عبادة أو طاعة، يجب أن يراجع حسابته ويسأل نفسه أمزداد أنا أم منتقص، هل أذنبت هل عصيت، لما أغلق علي باب للطاعة، ويستغفر ويدعوا الله أن يزيده ولا ينقصه، ويهديه ولا يضله ويقربه ولا يبعده، فإنه لا سعادة له ولا راحة إلا بالقرب من الله والانس به والانشغال بعبادته وطاعته.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من عباده المخلصين، ونعوذ به من فتن الدنيا وملهياتها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.